

القَصَصُ الدِّينِي
الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

فَدَاءُ اسْمِكَ خَيْرٌ

عبد الحميد جودة السحار

الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

القصص الدني

فداء أسيرك

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

تزوج سيدنا إبراهيم من السيدة سارة ، وعاش
 معها ، حتى كبرا في السن ، ولم يكن لهما ولد .
 وكان للسيدة سارة جارية تسمى هاجر . فقالت
 لزوجها : ها نحن قد كبرنا في السن ، وليس لنا
 أولاد ، لأنني أنا عقيم لا ألد ، فتزوج هذه الجارية ،
 لعل الله يرزقك منها بغيام نفرح به في حياتنا .
 قال لها إبراهيم : لا يا سارة . إنني أخشى أن
 تغارى من هاجر إذا هي ولدت وأنت لا أولاد لك .
 ولو كان الله يريد أن يعطينا أولادا لأعطانا .
 قالت سارة : لا يا إبراهيم . إنني لن أغار بل
 سأفرح إذا ولدت هاجر ، وأعطانا الله غلاما نفرح
 به جميعا .

عند ذلك تزوج إبراهيم من هاجر ، فحملت
ياسماعيل ، ولم يكن إبراهيم يعلم أنها حملت .

٢

وفي ليلة كان إبراهيم جالساً أمام خيمته ، وزوجه
سارة في داخلها ، وإذا بثلاثة رجال شبان يقولون :
- السلام عليك يا إبراهيم .

قال : وعليكم السلام . تفضلوا .

وأمر إبراهيم أحد أتباعه ، فذبح عجلاً سمينا ؛
ليقدم لهم منه طعاماً ، ويعمل لضيوفه وليمة .

ولما حضر الطعام قدم إليهم إبراهيم فلم يأكلوا ؛
فتخوف إبراهيم منهم وظنهم رجالاً شريرين أو
لصوصاً ، يقصدون قتله أو سرقته ، ولذلك لم يأكلوا
من طعامه .

فقال : مَنْ أَنْتُمْ ؟

قالوا : نَحْنُ مَلَائِكَةٌ ، وَقَدْ جِئْنَا لِنُبَشِّرَكَ بِغُلَامٍ .

قال : لَا تَسْخَرُوا مِنِّي وَلَا تَسْتَهْزِئُوا بِي . كَيْفَ
تُبَشِّرُونَنِي بِغُلَامٍ وَأَنَا رَجُلٌ شَيْخٌ .

قالوا : إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُ .

وسمعت السيدة سارة ذلك فضحكت واستغربت .
فقال الملائكة لها : وَأَنْتِ كَذَلِكَ سَتَلِدِينَ وَلَدًا اسْمُهُ
إِسْحَاقُ ، الَّذِي سَيَلِدُ يَعْقُوبَ . فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا
وقالت :

﴿ يَا وَيْلَتَا أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ ، وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ؟ ﴾

قال الملائكة : وَهَلْ تَسْتَكْثِرِينَ هَذَا عَلَى اللَّهِ ؟

قال إبراهيم : وَالْآنَ إِلَى أَيْنَ أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ؟

قالوا : إِنَّا ذَاهِبُونَ إِلَى قَرْيَةٍ ابْنِ أَخِيكَ لُوطَ ،

لَنُهْلِكَ قَوْمَهُ الْكَفَّارَ ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا هُوَ وَالنَّاسُ

الطيبون ، أما بقية قومه الذين يعملون أعمالا رديئة ،
فإنهم سيهلكون جميعا ؛ وإن موعدهم الصُّبح ؛ أليس
الصُّبح بقريب ؟

٣

بعد عدة أشهر ولدت هاجر ولدا ، سماه أبوه
إسماعيل . وكانت سارة لم تلد إلى هذا الوقت ؛
ففرح إبراهيم بإسماعيل فرحا عظيما ؛ وأخذه وذهب
ليريه لزوجته سارة . ولكن سارة غارت غيرة شديدة
حين رأت الطفل ؛ وقالت لإبراهيم : إنا أنا في هذا
البيت ، وإنا هاجر وولدها . اذهب بهما بعيدا عني ،
فأنا لا أطيق أن أنظر إليه ، ولا إلى أمه الجارية .
وحاول إبراهيم أن يرضيها فلم تقبل فتوكل على
الله ، وأخذ هاجر وابنها إسماعيل ، وذهب بهما

بعيدا فى الصحراء ، وصنع لهما خيمةً قُربَ المكانِ
الذى فيه الكعبةُ الآن .

وقبلَ أن يترُكهما فى الخيمة ويمشى ، راح يُصلّى
لله ويدعوه ويقول :

﴿ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادِرَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ؛ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، فَاجْعَلْ
أَفْئِدَةَ مَنْ نَاسٍ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ، وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

٤

وعادَ إبراهيمُ إلى بيته ، وبعدَ فترةٍ وَلَدَتْ سَارَةُ
وَلَدًا سَمَّاهُ أَبُوهُ إِسْحَاقَ ، وفرح فرحاً عظيماً ،
ورضيت سارةً واطمأنت .

أما هاجرُ فعاشت أياماً مع طفلِها إسماعيلَ ، حتى

نَفِدَ الْمَاءُ الَّذِي تَرَكَهُ لهما إِبْرَاهِيمُ ، وَعَطِشَتْ فَجَفَّ
لَبْنُهَا ، وَعَطِشَ الْوَلَدُ وَجَاعٌ ، وَلَكِنْ أَيْنَ الْمَاءُ فِي هَذِهِ
الصَّحْرَاءِ ؟

تَرَكْتُ هَاجِرَ طِفْلَهَا فِي الْخَيْمَةِ ، وَخَرَجْتُ تَبْحَثُ
عَنِ الْمَاءِ فِي الصَّحْرَاءِ ؛ فَلَمْ تَجِدْ لِلْمَاءِ أَثْرًا ، وَكَانَتْ
الشَّمْسُ سَاخِنَةً وَالْجَوُّ مُحْرِقًا ، وَكَلَّمَا فَكَّرَتْ فِي أَنْ
تَعُودَ إِلَى الْخَيْمَةِ قَالَتْ : وَإِسْمَاعِيلُ ؟ كَيْفَ أَرْجِعُ لَهُ
مِنْ غَيْرِ مَاءٍ ، فَيَمُوتَ مِنَ الْعَطَشِ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ .

وَرَأَتْ تَسْعَى بَيْنَ جَبَلِ الصَّفَا وَجَبَلِ الْمَرْوَةِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ ، وَهِيَ تَبْحَثُ عَنِ الْمَاءِ فَلَا تَجِدُهُ .

وَأَخِيرًا جَفَّ رِيقُهَا ، وَانْعَقَدَ لِسَانُهَا مِنَ الْعَطَشِ ،
فَعَادَتْ وَهِيَ مُتْعَبَةٌ ، تَسِيرُ قَلِيلًا وَتَقَعُ عَلَى وَجْهِهَا فِي
الرَّمَالِ ، ثُمَّ تَنْهَضُ فَتَسِيرُ .

وَبَعْدَ جُهِدٍ شَدِيدٍ قَرُبَتْ مِنَ الْخِيْمَةِ وَهِيَ تَظُنُّ أَنَّ
إِسْمَاعِيلَ طِفْلَهَا قَدْ مَاتَ مِنَ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ ، لِأَنَّهَا لَمْ
تُرْضِعْهُ مِنْ زَمَنٍ طَوِيلٍ .

* * *

وَلَكِنَّهَا نَظَرَتْ فَدَهَشَتْ : هَذَا هُوَ إِسْمَاعِيلُ يَحْبُو
وَيَبْتَسِمُ وَيُشِيرُ لَهَا بِيَدَيْهِ ! كَيْفَ لَمْ يَمُتْ يَا اللَّهُ ؟
لَمْ يَمُتْ لِأَنَّهُ وَهُوَ يَحْفِرُ بِأَصَابِعِهِ فِي الرَّمَالِ ، نَبَعَتْ
عَيْنُ زَمْزَمَ ، وَفَاضَ مِنْهَا الْمَاءُ ، فَشَرِبَ مِنْهُ
و « بَطِطَ » بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ .

وَارْتَمَتْ هَاجِرٌ عَلَى الْمَاءِ تَشْرِبُ وَتَشْرِبُ ، ثُمَّ تَضُمُّ
إِسْمَاعِيلَ وَتُقَبِّلُهُ وَتَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ .

مرَّ جماعةٌ من الأعرابِ بهذا المكانِ . فوقَّعَ نظرُهُم
على الماءِ يفيضُ من بئرٍ زمزم ، وكانوا يعرفون أنَّ
هذه الجهةَ ليسَ بها ماءٌ ولا زرعٌ ؛ فاستغربوا وذهبوا
إلى خيمةِ هاجر ، فسألوها : من أينَ جاءَ هذا الماءُ ؟
فأخبرتهم بالقصة ، فقالوا : هذا طفلٌ مباركٌ سعيدٌ .
ونصبوا خيامهم بجانب الماء ، وبجانب هذا الطفلِ
الذى ينبعُ على يديه الماء . وسَمِعَ اللهُ دعاءَ سيِّدنا
إبراهيم ، فجعلَ قلوبَ هؤلاء الأعرابِ تميلُ إلى
إسماعيلَ كما قال : ﴿ واجعلْ أَفئدةَ من الناسِ تهوى
إليهم ﴾ . وامتدت الخيامُ حولَ خيمةِ هاجر ،
وأصبحتْ قريةً كبيرةً .

وجاءَ إبراهيمُ بعدَ فترةٍ ليرى ماذا جرى لابنه

وزوجته هاجر . فلما رأى هذه الخيام الكثيرة لم
يعرف المكان ، وظن أنه تاه ، وأراد أن ينصرف .
ولكنه سأل واحداً من الأعراب ، فأخبره أن هاجر
وإسماعيل هنا ، ودله على خيمتهما .
ولما قابلهما ضمّهما إلى صدره وبكى ، وعرف أن
الله استجاب دعاءه ، فصلى لله ركعتين في مكان
الكعبة التي يحج المسلمون الآن إليها .
ثم عاد مطمئناً .

٦

اعتاد إبراهيم أن يأتي كل عام مرة إلى هذا
المكان ، ليرى ولده وزوجته ، ويصلي لله فيه .
ومرّت السنوات ، وصار إسماعيل فتى صبوحاً
جميلاً ، وكان مؤمناً بالله ، لا يعبد الأصنام ، بل

يعبد الله ؛ لأنَّ أباهُ علَّمَهُ الصلاةَ لله وهو صغير .
وفي ليلةٍ كان إبراهيمُ نائمًا ، فرأى في منامِهِ هاتفًا
يقولُ له : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَذْبَحَ ابْنَكَ إِسْمَاعِيلَ .
ونَهَضَ إبراهيمُ من نومه فقال : يا ربِّ ، إذا كنتَ
تريدُ أن أذبح ابني فإنِّي مُطيع . ثم نامَ ثانيةَ فرأى
هذا الهاتفُ يقولُ له : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَذْبَحَ
إِسْمَاعِيلَ . فنهَضَ من نومه وصلى ركعتين وقال :
يا ربِّ ، إذا كنتَ تريدُ أن أذبحَ ابني فإنِّي مُطيع .
ثم نامَ ثالثةً فرأى الهاتفُ يقولُ له : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ
تَذْبَحَ ابْنَكَ إِسْمَاعِيلَ .
فنهَضَ وهو يقولُ : الآن لا بد لي أن أطيع .

ذهب إبراهيم إلى مكان إسماعيل ، واستصحبه معه إلى خارج الخيام ، وصعد به إلى قمة الجبل . وهناك قال له : ﴿ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ . فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ ﴾ .

﴿ قال : يا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ، سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ .

ولم يُرِدْ إبراهيم أن يرى ابنه السَّكِين ، فَرَبَطَ يديه خلفه ، وَنَكَّسَ وَجْهَهُ إِلَى الْأَمَامِ عَلَى الصَّخْرَةِ ، وَأَخْرَجَ سَكِينَتَهُ الْمَاضِيَةَ ، وَتَشَجَّعَ ، وَقَالَ : يَا رَبِّ هَإِنِّذَا أَنفَعُ إِرَادَتِكَ . ثُمَّ نَزَلَتْ يَدُهُ بِالسَّكِينِ .

وقبل أن تصل إلى عنق إسماعيل سمع إبراهيم هاتفا يقول له : ﴿ يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ... ﴾ .

ونظرَ فإذا كبشٌ عظيمٌ في يَدَي مَلَك ، وهو يقول
له : اذبح هذا الكبشَ بدلا من إسماعيل . فلقد فداهُ
اللهُ به ليعيش .

ولَقَط إبراهيمُ نفسَه ، وفكَّ رِباطَ ابنه ، وتسلَّم
الكبشَ فذَبَحَه ؛ وراح يُصَلِّي شكراً لله على فِدْيَتِه .
ومن يومِها ونحن نضحى كبشاً في عيدِ الأضحى ،
شكراً لله على نِجاةِ إسماعيل ، ونُطْعِم لحمَه
للمساكين .

٨

بعدَ ذلك أَمَرَ اللهُ إبراهيمَ وإسماعيلَ ببناءِ الكعبة .
فراح كلُّ منهما يقطع الأحجارَ ويعجن المِلاط .
وأخذ البناءُ يرتفع يوماً بعدَ يوم ، وإبراهيمُ وإسماعيلُ
فرحانَ بتنفيذِ أَمْرِ اللهِ ، وهما يصلِّيان ويدعوان :

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا
 وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾ .
 وبعدها انتهى البناء كله ، قال الله لإبراهيم : هذا
 بيتي عَرَفْتُكَ مكانه ، وَسَلَّمْتُهُ إِلَيْكَ لتبنيه ، وَأَمَرْتُكَ :
 ﴿ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا ، وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ
 وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ . وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ
 يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
 عَمِيقٍ ﴾ .

وَأَذَّنَ إبراهيم في النَّاسِ بِالْحَجِّ ، فجاء النَّاسُ مِنْ
 كُلِّ مَكَانٍ . وَعَلَّمَ الله إبراهيم وإسماعيلَ طَرِيقَةَ
 الْحَجِّ ، فَكَانَا يُعَلِّمَانِ النَّاسَ كَيْفَ يَحِجُّونَ .
 وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ جَاءَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَمِنْ ذُرِّيَّةِ
 إسحاقَ كَانَ يعقوبَ ويوسفَ وموسىَ وداودَ
 وسليمانَ .